سوسيولوجية الهجرة الجزائرية في فرنسا

سعيدون زروقي: طالب دكتواره قسم علم الاجتماع/ جامعة محمد بن أحمد وهران 2.

تحت إشراف: أ.د: بن طرمول عبد العزيز/ جامعة محمد بن أحمد وهران 2

ملخص المقال:

إن الحديث عن ظاهرة هجرة الجزائريين في فرنسا يقودنا للحديث عن تجربة تاريخية طويلة ومعقدة مليئة بالآلام والمآسي، منذ بداية القرن العشرين، حيث شهدت عدة محطات، فبينما كانت هجرة هؤلاء الجزائريين ذات طابع شغل ومؤقتة في البداية بطلب من الحكومات الفرنسية المتعاقبة نظرا لزيادة الطلب على اليد العاملة خصوصا بعد الحرب العالمية الثانية، تغيرت فيما بعد وأصبحت دائمة خصوصا بعد تطبيق قانون جمع الشمل العائلي. هكذا بدأت تتشكل شيئا فشيئا عائلات جزائرية جديدة داخل المجتمع الفرنسي محدثة تغييرا في ملامه ومشكلة في نفس الوقت مجتمع مصغر من العائلات الجزائرية في فرنسا. لم يتوقف الأمر عند هذا الحدّ، بل أفرزت هذه الهجرة أجيالا من الشباب يحملون الجنسية الفرنسية أي مواطنين فرنسيين، يختلفون تماما عن جيل آبائهم وحتى عن جيل أخوتهم الكبار، هؤلاء الشباب الفرنسيين–الجزائريين يسعون لفرض أنفسهم كمواطنين فرنسيين مسلمين لهم كامل الحقوق في العيش ضمن الجمهورية الفرنسية بتعاليمها وقوانينها ولكن كذلك تحفظ لهم حقهم في ممارسة إسلامهم علنا وليس في الخفاء. مثلما كان آبائهم فيما قبل، استطاع الأبوين نقل تعاليم الإسلام لأبنائهم بشق الأنفس كون هؤلاء الأبناء عاشوا نمطين من التنشئة واحد عائلي جزائري والآخر داخل المؤسسات التربوية العمومية الفرنسية، الشيء الذي عقّد من مهمة الأسرة الجزائرية في تثبيت القيم والعادات الجزائرية لأبنائها.

الكلمات المفتاحية:

الهجرة، العائلة الجزائرية في فرنسا، الشباب الفرنسي الجزائري، الإسلام، الهوية.

المقال:

ترتبط ظاهرة الهجرة الجزائرية في فرنسا بالسياق التاريخي والسوسيولوجي الذي تطورت ضمنهما، بحيث يتعذر الكلام عن هذه الظاهرة بدون الأخذ بعين الاعتبار لهذين البعدين، الأمر الذي يستدعي الرجوع إلى أصل نشأة هذه الظاهرة والعوامل التاريخية، الاقتصادية والسياسية التي أنتجتها انطلاقا من البلد الأصلي لهؤلاء المهاجرين وصولا إلى البلد الذي احتضنها. إذن يتعلق الأمر بمسار طويل ومعقد فبينما كان يغلب على الهجرة في بادئ الأمر طابع الشغل أي هجرة مؤقتة قد تنتهي بمجرد انتهاء الشغل، أخذت فيما بعد طابعا آخرا وهو الاستقرار الدائم بعد أن التحق أفارد عائلات هؤلاء المهاجرين بذويهم في فرنسا في إطار سياسة جمع شمل العائلة (le regroupement familial) وما نتج عنه من ظهور لأجيال جديدة في هذا البلد استفاد أغلب أفاردها من الحصول على الجنسية الفرنسية سواء عن طريق حق الأرض (le droit du sol) أو عن طريق الاقتناء (l'acquisition)الشيء الذي غير ملامح وخصوصية مجتمع المهاجرين في هذا البلد. على صعيد آخر وعلى المستوى السوسيو–مهني تميز المهاجرون الأوائل بضعف الكفاءة المهنية، لذلك اتسمت معيشتهم بالهشاشة وعدم الاستقرار الشيء الذي أثر سلبا على أبنائهم فيما بعد. من ناحية أخرى ونظار لعوامل التهميش والإقصاء وتواجدهم في محيط المجتمع لجأ أبناء المهاجرين إلى محاولة بناء هويتهم انطلاقا من موروث آبائهم الثقافي والديني من خلال الوسط العائلي على غارر اللغة العربية والدين الإسلامي. عرفت الهجرة الجزائرية في فرنسا منذ بدايتها إلى الآن عدة تقلبات، على العموم منذ 1962 تاريخ استقلال الجزائر لم تشهد تراجعا في عدد الوافدين إلى فرنسا حيث ازداد عددهم نظرا للوضع السياسي والأمني المتدهور الذي ميز سنوات التسعينيات في الجزائر.

على صعيد آخر وبينما كانت الهجرة الجزائرية تتسم بالطابع الريفي توسعت فيما بعد لتشمل المناطق الحضرية حيث انتهجت السلطات الفرنسية سياسات توافق المتطلبات

الأساسية من اليد العاملة حيث أصبحت تميل لجلب يد عاملة ذات كفاءة علمية ومهنية عكس ما كانت عليه في السابق.

تمركز المهاجرون الجزائريون منذ البداية في أحياء فقيرة محادية للمناطق الصناعية في المدن الكبرى. داخل هذا المجال الجغرافي وغير من الأماكن الغير لائقة من مراكز الإيواء وغيرها نشأت أجيال المهاجرين الجزائريين وأفرزت واقعا آخرا في المجتمع الفرنسي أنتج ما يسمى بفشل الاندماج ضمن المجتمع وبذلك فشل السياسة الفرنسية في التعامل مع المهاجر منذ البداية.

تنطوي المقاربة السوسيولوجية على مجموعة من الاعتبارات بغية الأخذ في آن واحد بطرفي السلسلة الخاصة بالهجرة. يتعلق الأمر في البداية بالرجوع إلى البعد التاريخي لهذه الظاهرة في البلدان التي عرفتها. إن إعادة تشكيل التاريخ الاجتماعي الذي نمت فيه هذه الظاهرة في البلدان الأصلية التي أفرزت أفواجا من المهاجرين تسمح بتهيئة الشروط ونشأة هذه الهجرات بمجرد تحديد مختلف العوامل السوسيولوجية، التاريخية، الاقتصادية والسياسية التي تسمح بفهم المنطق الجوهري المرتبط بكل ظاهرة هجرة. بالإضافة إلى ذلك، ومن أجل فهم واقع الهجرة الجزائرية في فرنسا، يدعو عبد المالك صياد إلى "نهج إبستمولوجي ينطلق من تسلسل زمني من خلال الجمع بين البعد التاريخي والبعد المتزامن لتجنب تفكيك فعل الهجرة (le fait migratoire) بوصفه فعلا اجتماعيا شاملا (un fait social total) [1]، إن الكلام عن الهجرة، يعني الكلام عن المجتمع بأكمله، كلام عن بعده التأريخي، بمعنى في إطار منظور تاريخي (تاريخ ديموغرافي وسياسي لتركيبة السكان الفرنسيين)، وكذلك في امتداد المتزامن، أي من وجهة نظر البنيات الموجودة للمجتمع وعملها، ولكن بشرط عدم الأخذ عمدا الجزء المبتور لهذا الموضوع من جزء ينتمي إليه، وهو الجزء الخاص بالهجرة"[2]، من ناحية أخرى، يشير عبد المالك صياد إلى أن الجزائريين في فرنسا قبل أن

---

[1] طالع مفهوم الفعل الاجتماعي الشامل le fait social total من خلال أعمال Marcel Mauss.

[2] A. Sayad, L'immigration et les paradoxes de l'altérité. Paris. Liber/ Raison D'agir 2006. p 15

يكونوا مغتربين، كانوا في الأصل مهاجرين. قبل الغربة كانت الهجرة[3] حيث أنهما وجهان لظاهرة واحدة. إن شرح وضعية المهاجرين في فرنسا يمر بإعادة تكوين مختلف مسارات المهاجرين التي سوف تمتد من البلد الأصل حتى البلد المستقبل. إن تطور واقع الهجرة يرتبط كذلك بمختلف التغيرات التي تحدث هنا وهناك من خلال كلا المجتمعين.

وبالأخذ بعين الاعتبار مختلف هذه المتطلبات السوسيولوجية والابستمولوجية، بنى عبد المالك صياد مخططا من ثلاث أعمار من أجل تفسير الديناميكية التي تميز هذا المسار الذي قاد أجيال المهاجرين لتجاوز العمر الأول من الهجرة إلى مرحلته الأخيرة، العمر الثالث من هجرة مراقبة وخاضعة إلى النظام القروي لضمان بقائها ومن تم تحررها من مراقبة المجتمع لتصبح عاملا مشتركا لجماهير أكثر فأكثر عمالية. إن تعميم الهجرة بين مختلف المجموعات الاجتماعية ومن خلال كل المناطق الجغرافية في الجزائر وكذا شبه الاحترافية لحال المهاجر في فرنسا ثبت نهائيا الهجرة الجزائرية من هجرة العمل وهجرة الرجل لوحده. أسفر هذا المسار عن هجرة إسكان مع مجيء العائلات التي غيرت البناء المورفولوجي لهذا المجتمع الخاص بالمهاجرين في فرنسا.

إن الهجرة الجزائرية في فرنسا مثالية بالنسبة للبعض[4] ونموذجية بالنسبة للبعض الآخر[5]

تتشبث حولها الجماعات الأخرى القادمة من بلدان المغرب العربي حيث تقدم مواصفات خاصة تميزها في نفس الوقت عن باقي الهجرات الأوربية وتبنيها كبنية مجتمع أصلي.

---

[3] مصطلح الهجرة يقابله بالفرنسية Immigration ومصطلح الغربة يقابله بالفرنسية Emigration نقول على سبيل، المثال: هذا الرجل مهاجر من الجزائر، مغترب في فرنسا Cet homme est immigré d'Algérie، émigré en France لمزيد التوضيح طالع مؤلفات عبد المالك صياد.

[4] A. Sayad , La double absence. Des illusions de l'émigré aux souffrances de l'immigré. Paris. Seuil, 1999 .p 58.

[5] Voir, J. Simon, L'immigration algérienne en France. Des origines à l'indépendance . Paris-méditerranée, 2000

نضجها المبكر نسبيا بالنسبة لهجرات بلدان العالم الثالث الأخرى، العوامل التاريخية التي نشأت فيها، والخيالات التي ميزتها طوال فترة تكونها لتسمح لها بالحفاظ والديمومة، أعطت حسب عبد المالك صياد شكلا جديدا لهذه الهجرة. إنها هجرة شغل التي جمعت رجالا لوحدهم قدموا للعمل لفترة مؤقتة محتفظين بعلاقتهم بالبلد الأصلي أين تعيش عائلاتهم. في الواقع، هذا هو ثمن مجموع خيالات وأوهام التي سمحت باستمرار الهجرة في فرنسا. كان من المفترض أن تكون هجرة مؤقتة من أجل الشغل، إلا أنها امتدت إلى هجرة دائمة من السكان "الهجرة الجزائرية" ولكي تبقى على حالها، مضطرة للحفاظ على نفسها وبالتالي، الكشف عن سلسلة من الحيل والمحاكاة والتستر التي تعد أصل ظهور واستمرار ظاهرة الهجرة"[6]. لفترة طويلة خضع المهاجر إلى تناقض كبير، هذا الأخير بقي محصورا ضمن وهم المؤقت حيث برر وجوده في فرنسا بالعمل فقط إلى حد إخفاء وهم الحياد السياسي للمهاجر لصالح وضيفته الاقتصادية. "لا ندري ما إذا تعلق الأمر بحالة مؤقتة ولكن يودون التمديد لأجل غير مسمى، أو بالعكس، ما إذا تعلق الأمر بحالة أكثر ديمومة ولكن يودون العيش بشعور شديد بالمؤقت"[7]. يستخلص عبد المالك صياد أن الفصل في هذ المعضلة وصل إلى حد نبذ الغربة. ولهذا لا يستطيع المهاجر إلا إخفاء وضعيته الخاصة. هذه الحالة التي ليست مؤقتة ولا دائمة التي حدثت للمهاجر هي في الواقع عمل مشترك لثلاثة أجزاء تحكم ظاهرة الهجرة– الغربة التي تحافظ على نوع من التواطؤ المقصود. هناك أولا المهاجرين أنفسهم الذين لهم كل المصلحة في اعتبار أن وضعيتهم مؤقتة. ثم المجتمعات الأصلية التي تستمر في الاعتقاد بأن مهاجريها ليسوا إلا غائبين وسوف يعودون، وأخيرا، مجتمع الهجرة الذي له كذلك كل المصلحة في الاحتفاظ بالمهاجر ضمن المؤقت بغية استغلاله وحرمانه من أي حق في الحضور الدائم. من الآن فصاعدا تتضح الهجرة أكثر في المجتمع المستقبل لأنها بصدد تحقيق تحولها النهائي محاولة كسر أطر الأوهام التي كانت منغلقة ضمنها.

---

[6] A. Sayad, La double absence. Op, cit. p 114

[7] A. Sayad, L’immigration ou les paradoxes de l’altérité. Op. cit. p 51

لقد عرفت الهجرة المغاربية في فرنسا الكثير من التحولات منذ نشأتها ابتداءا من السنوات الأولى للقرن التاسع عشر تحت وطأة العديد من العوامل التي أثرت على مستقبلها. من هجرة متفرقة ذات هيمنة ريفية وقروية، أصبحت عامة لتشمل بعد ذلك كل الطبقات الاجتماعية ومناطق جغرافية أخرى. من هجرة يسيطر عليها لفترة طويلة الجزائريون بالنظر إلى الظروف الاجتماعية، السياسية والاقتصادية نتيجة للاستعمار الذي خضعوا له، توسعت لتشمل دول المغرب العربي الأخرى من أجل كسر الاحتكار الذي يشكله العنصر الجزائري في هذا البلد. وأخيرا وكما يلاحظ صياد أنها هجرة ولدت ونمت تحت تأثير العمل، لتتطور بسرعة إلى هجرة إعمار "مؤكدة كذلك القاعدة الشبه عامة لكل حركات الهجرة: كل هجرة عمل تحتوي على بذور هجرة الإعمار التي توسع نطاقه"[8] من جهة أخرى، فإن استقرار الهجرة المغاربية في فرنسا يتحدد إلى حد كبير بهذا المسار التاريخي، الاقتصادي، الاجتماعي والثقافي الذي وزيادة على ذلك مازال يشكل الفضاء للأجيال الناتجة عن لم الشمل العائلي. إن التمركز القوي للعائلات المغاربية داخل المناطق السكنية المهمّشة بسبب المستوى الاقتصادي للآباء الذين يتميزون بضعف الكفاءة المهنية شجع على إعادة تشكيل جماعات داخل الضواحي. داخل هذه الجماعات من المهاجرين يمثل الجزائريون الأغلبية مقارنة بالآخرين. في هذا الصدد يلاحظ B. Stora بأن "الشبكات الجماعية الجزائرية تعرض كأماكن لجوء بالنسبة للمغربيين والتونسيون. بالإضافة إلى ذلك، تمثل اللغة العربية جسرا للتواصل بين الجاليات المغاربية، حيث أن المغربيين والتونسيين يتبنون كثيرا في البداية اللهجة الجزائرية على حساب لهجاتهم.

إن التواصل واقع إنه يتحسن بسرعة"[9] من ناحية أخرى، بالإضافة إلى اللغة العربية التي تسهل المؤانسة داخل هذه المجموعة المغاربية، يشكل الدين كذلك عاملا آخرا قادرا على توحيد الانتماء الجماعي. ذلك ما يجعل الأحياء ذات التواجد القوي للمهاجرين تتميز بممارسة دينية مهمة أكثر من الأحياء الأخرى. يعني هذا أن الأجيال الجديدة الناتجة عن

---

[8] Ibid. p 73.

[9] B. Stora, Ils venaient d'Algérie. L'immigration algérienne en France 1912 - 1992. Paris. Fayard, 1992, p 416 -417.

الهجرة المغاربية مازالت تنتج وتعيد إنتاج بعض الخصائص التي تنتمي إلى وسطهم الأصلي تحت تأثير الوسط العائلي والمحيط الاجتماعي الذي تشكله الأحياء. علاوة على ذلك، تدعوا هذه الأجيال إلى عيش هذه الأحداث الثقافية والاجتماعية في إطار الجمهورية عكس آبائهم الأكثر سرية ربما بسبب وضعهم الهش في الواقع وتجاه القانون. إن الهجرة المغاربية في فرنسا أدت إلى إحداث نوع من الوعي في أوساط المواطنين الفرنسيين فيما يخص وضعية الهجرة عموما التي أصبحت موضوعا تتغذى منه مختلف الحقول السياسية، الإعلامية والعلمية التي طالما اعتبرت المهاجر كقوة عمل مؤقتة عابرة.

على العموم، بعيدا عن تشكيل قطيعة مع الفترة السابقة، تمثل فترة ما بين الحربين لحظة تعزيز لحركة الهجرة التي أصبحت منذ ذلك الحين حقيقة لا مفر منها بالنسبة لجماهير العمال المستعدين لبيع قوة عملهم في فرنسا. إن حركة الذهاب والإياب المستمرة بين الضفتين التي دشنتها الموجات الأولى من المهاجرين قد أثرت على باقي المناطق في أوساط الطبقات الاجتماعية نظرا لأهمية الأجور مقارنة بغيرها الممنوحة من طرف أرباب العمل في المستعمرة. ولهذا السبب فإن واحدة من الخصوصيات الكبرى لهذه الفئة من السكان المغاربيين في فرنسا هو معدل النشاط المرتفع استثنائيا الذي بلغ في مرحلة ما بين الحربين سقف 95% متجاوزا إلى حد كبير معدل النشاط لدى الجنسيات الأخرى[10] قبل أن ينزل مع اندلاع الحرب العالمية الثانية والتغيرات الهيكلية التي عرفتها الهجرة المغاربية منذ نهاية الحرب.

أعادت الحرب العالمية الثانية صياغة تجربة الحرب العالمية الأولى مع دفعاتها من العمال والجنود المعبأين بسرعة لهذ الظروف، واضعة حدا لنظام الهجرة الحرة. تم توجيه العمال الجزائريين في شكل كتائب متكونة من فرق من 500 رجل تحت رقابة عسكرية في قوارب بدائية الصنع. ولكن، بعد من الحرب عرفت الهجرة المغاربية عموما والجزائرية خصوصا نحو فرنسا فترة هدوء طبعا، بدون شك بسبب الصدمات التي عاشها المهاجرون

[10] J. Singer-Kéler, « Les actifs Maghrébins dans les recensements français ». in L. Talha, S. Andezian, P. R. Baduel, Maghrébins en France. Emigrés ou immigrés?, Op cit p 86

طيلة فترة الحرب لتنتقل بعد ذلك مع التوسع الاقتصادي الذي ميز مرحلة إعادة البناء. حدثت هذه الهجرة في أغلب الأحيان من طرف الجزائريين الذين لم يتوقفوا عن إثاره تجربة في الهجرة مقارنة مع بلدان الشمال الإفريقي الأخرى حيث ستكون آثارها جد واضحة على التركيبة السوسيولوجية للأجيال اللاحقة.

ابتداءا من 1962، على الرغم من العودة الناتجة عن الرفاه الذي تلي استقلال الجزائر، سرعان ما شهدت هذه الحركة خيبة أمل لما وجدته من واقع صعب. عرفت الهجرة الجزائرية دفعة جديدة التي من الآن وصاعدا تستجيب إلى اتفاقيات تفاوض بين دولتين معنيتين بهذه الظاهرة.

هذا الزخم في حركة الهجرة عرف تحولا في المسار في ظل تعليق الهجرة من طرف الحكومة الفرنسية في جويلية 1974 وذلك بتوقيف كل أشكال الهجرة بما فيها الهجرة العائلية لتتخلى عن ذلك فيما بعد. وضعت السياسة الجديدة حدا للهجرة الشرعية للشغل لفسح المجال إلى جمع الشمل العائلي الذي ثبت نهائيا الهجرة في فرنسا. وعليه فإن هذه العائلات الجديدة في فرنسا استمرت في التكاثر والنمو وذلك بإنتاج أجيال جديدة منقسمة ما بين محيط عائلي غالبا ما يتميز بالثقافة الأصلية المكتسبة من الأبوين ومحيط خارجي الذي يستجيب إلى نماذج ثقافية أخرى غالبا ما تتنافى مع ثقافة الأبوين. اليوم، هذه الأجيال تحاول أحيانا الانتظام من خلال المشاركة في المؤسسات الاقتصادية، الاجتماعية والسياسية للبلد المضيف وأحيانا بإنشاء شبكات جماعية خاصة بالفئة الأصلية.

كانت الهجرة الجزائرية في فرنسا، هجرة شغل، وكان مصدرها غالبا ريفيا، نظرا لما عاناه هؤلاء السكان من حالات الفقر وغيرها، لقد قدمت جغرافية الهجرة في بدايتها تمركزا قويا للمهاجرين ذوي الأصول الريفية متكونين في غالب الأحيان من شباب البدو أميون وبدون تأهيل. إلى ذلك الحين كانت المناطق الريفية تضمن استدامة توازن غير مستقر إلا أنها سرعان ما ضعفت أمام الكثير من الاثار التي نتجت عقب نشأة الاستعمار والثورات المتتالية التي عقبت ذلك. إضافة إلى ذلك، فإن الطبيعة الاجتماعية لهذه المناطق قد سمحت

بدون شك بالتكفل بالآثار المترتبة عن الهجرة حيث كان الهدف في أول الأمر وقبل كل شيء هو استمرار النظام البدوي[11].

كانت منطقة القبائل السباقة في تزويد فرنسا بالعمال منذ السنوات الأولى من القرن العشرين. على صعيد آخر، قدمت الحرب العالمية الأولى فرصة هامة لجلب عمال جدد من المستعمرات الفرنسية وكذا حشد أفواجا من الجنود الذين سوف يوسعون الرقعة الجغرافية التقليدية لتوظيف اليد العاملة. هذه التجربة سمحت بتجديد الوحدات الأولى من المهاجرين وبظهور مناطق جديدة للهجرة أثناء فترة ما بين الحربين. وعليه، أصبحت الهجرة ظاهرة عامة بعدما كانت عبارة عن فعل هامشي يقتصر على منطقة واحدة. بالنسبة للجزائر، وبالرغم من الأهمية التي تشكلها منطقة القبائل وتلمسان، فإن السهول العليا من منطقة قسنطينة، العاصمة، وهران، الهضاب العليا وكذا الجنوب قدمت بدورها الكثير من المهاجرين[12].

بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية التي شهدت تعبئة عشرات الآلاف من الجنود وعمال مستعمرات الشمال الإفريقي، أصبحت الهجرة ظاهرة تمتد لتشمل عائلات جديدة لاسيما من المناطق الحضرية. إن الطلب الكبير على اليد العاملة التي اقتضتها فترة إعادة البناء، إرادة السلطات الفرنسية في تنويع مصادر التوظيف، حرب الجزائر، الاتصال المطول للسكان المستعمرين بالمستعمر خصوصا عن طريق التمدرس والخدمة العسكرية إضافة إلى استقلال المغرب وتونس، كلها أسباب تبرر ظهور مرشحين جدد للهجرة. إن تراجع عدد المهاجرين من أصول ريفية لصالح الحضر في فرنسا منذ سنوات 1970 يفسر بالسياسة الجديدة للهجرة التي انتهجتها السلطات العمومية التي أصبحت تتطلب الكفاءة المهنية أكثر وذلك بإقصاء الريفيين نهائيا الذين يتميزون بنقص الكفاءة مقارنة بالقادمين من المدن. حيث أن هؤلاء أغلبهم متعلمين وحاملي شهادات وعليه فهم أكثر كفاءة من غيرهم الذين لم تتج

[11] A. Sayad, La double absence, Op cit. p 114.

[12] 2 J. Simon, Op cit, p 63.

لهم الفرص في غالب الأحيان للوصول إلى أشكال التكوين المتواجدة في المدن. تشير M. Tribalatإلى أن" التدفقات من الجزائر والمغرب سوف تتشكل من الحضر خصوصا مع سنوات الثمانينيات، حيث سيمثلون حوالي ثلثي الوافدين إن التيارات الجديدة التي تطورت في سنوات السبعينيات قد تأثرت كثيرا بهذه الظاهرة الخاصة بالانتقاء وكذا بالمهاجرين ذوي الأصول الحضرية السائدة"[13]

هذا المسار الخاص بالتجذر في فرنسا يمر من المهاجر القروي الغير مؤهل إلى مهاجر من أصول حضرية أكثر تأهيلا. وفي الأخير من مهاجر يعيش وحده إلى مهاجر يعيش مع عائلته، إلا أن تعليق هجرة العمل أدى بالبعض في الأخير لتقبل الغير قابل للتعويض وذلك بجلب عائلاتهم إلى فرنسا والبعض الآخر لبناء حياته أو إعادة بنائها في هذا البلد.

منذ بداية الهجرة، دفع البحث عن الشغل المهاجرين الأوائل لاكتشاف مناطق أخرى في فرنسا قادرة على توفير إمكانات التشغيل لهذه اليد العاملة الجزائرية. إن البعد الجماعي الذي يميز هذه الهجرة والطلب المتزايد للعاملين من أجل معالجة العجز المتكرر في اليد العاملة قد سهل تدفق هؤلاء المهاجرين من الشباب. على المدى الطويل، هذا الاتجاه للمهاجرين نحو المناطق الصناعية قد حدد تمركزهم الجغرافي في فرنسا. لقد تركزت الموجات الأولى من المهاجرين الجزائريين خاصة في مرسيليا، ليون والعاصمة باريس مشكلة أحياءا من جيتوهات (أحياء فقيرة مكتظة بالسكان) بسبب التدفق السريع والعدد المعتبر من العاملين وبالخصوص الجزائريين[14].

هذا التمركز الأول للمهاجرين في فرنسا سوف يرسم ملامح المجال الجغرافي للمهاجرين ويعطي جانبا من الطبيعة غير المستقرة للمساكن المخصصة للمهاجرين الشيء

---

[13] M. Tribalat, Faire France, une enquête sue les immigrés et leurs enfants. Paris. La Découverte/Essais 1995. p 22-23.

[14] G. Meynier , L’Algérie révélée : la guerre de 1914 - 1918 et le premier quart du XIXe siècle . Genève, Droz, 1981, p 474.

الذي يعكس مدى تمثل المجتمع المضيف نحوهم[15]. "مسكن المهاجر لا يكون إلا للمهاجر: إنه مسكن اضطراري لوضعية اضطرارية: مسكن مؤقت، مؤقت على نحو مضاعف، لأن ساكنيه سوف يقطنونه مؤقتا، ولأنه في حد ذاته عبارة عن استجابة لوضعية ذات صفة مؤقتة لمقيم مؤقت، لأنه بهذه الطريقة يتصور المهاجر دائما: مسكنا اقتصاديا، متواضعا (إن لم نقل ناقصا) لساكن لا يملك دخلا كبيرا والذي، أكثر من ذلك فرض عليه، حتى اقتصاديا: مسكن متواضع لساكن فقير"[16]

إنها شروط الإقامة والحياة التي ستتقاسمها فيما بعد الأجيال اللاحقة من المهاجرين على نطاق واسع من خلال الأحياء الفقيرة، الفنادق المتواضعة ومراكز الإيواء وغيرها. على هذه الطريقة استقرت الهجرة المغاربية في فرنسا. وبالنتيجة يشير كمال بوقسه فيما يخص الجزائريين أن: "الحياة الاجتماعية لهذه الدفعات الأولى تسمح لهم إذن بإفراز أنماط تنظيم أصلية وأسلوب حياة مغاير داخل الأماكن وفضاءات خارج العمل ومع كل المجتمع المحيط. إنتاج واعادة إنتاج لبعض الملامح، انغلاق، عزلة، تهميش. كل هذا سوف يكون كذلك في مركز تشكيل عزلات حقيقية حتى داخل الحي"[17] الشيء الذي أثر سلبيا على اندماج هؤلاء المهاجرين في الفضاء الاجتماعي الفرنسي خصوصا الأجيال الأولى التي غالبا ما تتميز بالأمية والانفصال عن السكان الفرنسيين باللغة، بالعمل وبالسكن.

مع ذلك، سجلت الهجرة الجزائرية في فرنسا تطورا نوعيا وكيفيا من خلال التجربة المتراكمة من جيل لآخر، وصول العائلات الأولى للمهاجرين، التشكيلة الاقتصادية والاجتماعية الجديدة الناتجة عن الحرب العالمية الثانية، إضافة إلى مهاجرين شباب مثقفون أكثر بعد 1945 بدأوا في الانتشار في جميع أنحاء فرنسا. كما أنه من بين هؤلاء المهاجرين، البعض حقق نقلة اجتماعية ترجمت بنقلة جغرافية أدت بهم إلى تغيير الحي

---

[15] A. Sayad, L’immigra tion ou les paradoxes de l’altérité . Op cit

[16] Ibid, p 82.

[17] K. Bouguessa, « Mode de vie et représentation : La communauté algérienne en France pendant la colonisation ». in L. Talha, S. Andezian. P. R. Baduel,…Op cit, p 52.

المكتظ بالمهاجرين، ولكن كونها منذ البداية هجرة شغل، بقي استقرار الجزائريين في فرنسا دائما وعلى نطاق واسع متمركزا حول المناطق الجغرافية التي توفر وتخلق فرص عمل في الزارعة وفي القطاعات التي لا تتطلب مهارات مهنية. ومختصر القول أن هذا المسار للهجرة الجزائرية في فرنسا ينبئ إلى حد ما بمسار الأجيال اللاحقة التي ستكون نتاج جمع الشمل العائلي. من بين الاستمراريات التي تحملها الوضعية الجديدة هي تمركز الأجيال الجديدة المنحدرة من الهجرة في نفس المناطق الجغرافية التي تظهر بشكل متزايد كمناطق إقصاء بسبب حرمان الفئات الاجتماعية في أوساط المهاجرين الذين يقطنونها. إن الفشل المدرسي الذي يميز أجزاء واسعة من أبناء المهاجرين لم يسمح بإنجاز ترقية اجتماعية التي تمر عبر المدرسة. إن غياب التعبئة الاجتماعية التي تثبت هؤلاء الأبناء ضمن حرف يدوية غير مؤهلة، محتقرة ومشكلة في غالب الأحيان إعادة إنتاج لما ميز آبائهم من قبل، شكل ذلك عائقا حقيقيا أمام تغيير جغرافي ممكن. هذه العوامل وغيرها أنتجت إلى حد كبير نوعا من الفشل في تحقيق اندماج في المجتمع الفرنسي لهذه الأجيال من أبناء المهاجرين وبالخصوص الجزائريين، الشيء الذي دفعهم للبحث عن بديل آخر قد يضمن لهم نوعا من الوجود ومن تحقيق للهوية. ذلك ما دفع بالأجيال الشابة لتبني الدين الإسلامي كنظام حياة أو كنموذج حياة مواجهين بذلك نموذج الحياة السائد الذي تحكمه قيم ومبادىء العلمانية في فرنسا.

قائمة المراجع:

Meynier. G, L'Algérie révélée : la guerre de 1914-1918 et le premier quart du XIXe siècle. Genève, Droz, 1981.

Sayad. A, L'immigration et les paradoxes de l'altérité. Paris. Liber/ Raison D'agir 2006.

Sayad A, La double absence. Des illusions de l'émigré aux souffrances de l'immigré. Paris. Seuil, 1999.

Simon. J, L'immigration algérienne en France. Des origines à l'indépendance. Paris- méditerranée, 2000.

Stora.B, Ils venaient d'Algérie. L'immigration algérienne en France 1912-1992. Paris. Fayard, 1992.

Talha. L, Andezian. S, Baduel. P. R, Maghrébins en France. Emigrés ou immigrés ? Paris, CNRS, 1983.

Tribalat. M, Faire France, une enquête sue les immigrés et leurs enfants. Paris. La Découverte/Essais 1995.